

تفسير البحر المحيط

@ 267 (سقط : الآية كاملة) .

هذه السورة مدنية ، نزلت في غزوة بني المصطلق ، كانت من عبد الله بن أبي بن سلول وأتباعه فيها أقوال ، فنزلت . وسبب نزولها مذكور في قصة طويلة ، من مضمونها : أن اثنين من الصحابة ازدحما على ماء ، وذلك في غزوة بني المصطلق ، فشج أحدهما الآخر ، فدعا المشجوع : يا لأنصار ، والشاح : يا للمهاجرين ، فقال عبد الله بن أبي بن سلول : ما حكي الله تعالى عنه من قوله : { لَا تَنْفِقُواْ عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللّهِ حَتَّى يَنْفَضَ } ، وقوله : { لَيُخْرِجَنَّكَ الْغَزَى مِنْهَا إِلَّا ذَلَّ } ، وعنى الأعراف نفسه ، وكلاماً قبيحاً . فسمعه زيد بن أرقم ، ونقل ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فلام رسول الله صلى الله عليه وسلم) عبد الله ، فحلف ما قال شيئاً من ذلك ، فاتهم زيد ، فأنزل الله تعالى { إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ فَيَقُونَنَّ } إلى قوله : { لَا يَعْزِمُونَ } ، تصديقاً لزيد وتكذيباً لعبد الله بن أبي . . .

ومناسبة هذه السورة لما قبلها : أنه لما كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربما كان حاصلًا عن المنافقين ، واتبعهم ناس كثير من المؤمنين في ذلك ، وذلك لسرورهم بالغير التي قدمت بالميرة ، إذ كان وقت مجاعة ، جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان ، وأتبعه بقبايح أفعالهم وقولهم : { لَا تَنْفِقُواْ عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللّهِ حَتَّى يَنْفَضَ } ، إذ كانوا هم أصحاب أموال ، والمهاجرون فقراء قد تركوا أموالهم ومتاجرهم وهاجروا الله تعالى . { فَالْأُولَءِ نَشْهَدُ } : يجري مجرى اليمين ، ولذلك تلقى بما يتلقى به القسم ، وكذا فعل اليقين . والعلم يجري مجرى القسم بقوله : { إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ } ، وأصل الشهادة أن يواطء اللسان القلب هذا بالنطق ، وذلك بالاعتقاد ؛ فأكذبهم الله وفضحهم بقوله : { وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُؤْمِنَاتُ فَيَقِينَنَّ لَكَاذِبُونَ } : أي لم تواطء قلوبهم ألسنتهم على تصديقك ، واعتقادهم أنك غير رسول ، فهم كاذبون عند الله وعند من خبر حالهم ، أو كاذبون عند أنفسهم ، إذ كانوا يعتقدون أن قولهم : { إِنَّكَ لَرَسُولُ اللّهِ } كذب . وجاء بين شهادتهم وتكذيبهم قوله تعالى : { وَاللّهُ يَعْزِمُكَ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ } ، إيداناً أن الأمر كما لفظوا به من كونه رسول الله حقاً . ولم تأت هذه الجملة لتوهم أن قولهم هذا كذب ، فوسطت الأمر بينهما ليزول ذلك التوهم . { اتَّخَذُواْ أَيْمَانَهُمْ } : سمى شهادتهم تلك أيماناً . وقرأ الجمهور : أيمانهم ، بفتح الهمزة جمع يمين ؛ والحسن : بكسرهما ، مصدر آمن . ولما ذكر أنهم

كاذبون ، أتبعهم بموجب كفرهم ، وهو اتخاذ أيمانهم جنة يستترون بها ، ويذبون بها عن أنفسهم وأموالهم ، كما قال بعض الشعراء : % (وما انتسبوا إلى الإسلام إلا % . لصون دمائهم أن لا تسالا . %) .

ومن أيمانهم أيمان عبد الله ، ومن حلف معه من قومه أنه ما قال ما نقله زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، جعلوا تلك الأيمان جنة تقي من القتل ، وقال أعشى همدان : % (إذا أنت لم تجعل لعرضك جنة % . من المال سار القوم كل مسير . %) .

وقال الضحاك : اتخذوا حلفهم بالله أنهم لمنكم . وقال قتادة : كلما ظهر شيء منهم يوجب مؤاخذتهم ، حلفوا كاذبين عصمة لأموالهم ودمائهم . وقال السدي : { جَنَّةٌ } من ترك الصلاة عليهم إذا ماتوا ، { فَمَدُّوا } : أي أعرضوا وصدوا اليهود والمشركين عن الدخول في الإسلام ، { ذَالِكَ } أي ذلك الحلف الكاذب والصد المقتضيان لهم سوء العمل بسبب أيمانهم ثم كفرهم . وقال ابن عطية : ذلك إشارة إلى فعل الله بهم في فضيحتهم وتوبيخهم ، ويحتمل أن تكون الإشارة